شهادة
هند أبو الشعر كما عرفتها

د. محمد عدنان البخيت*

عرفت هند غسان أبو الشعر منذ أن كانت طالبة متميزة في قسم التاريخ والآثار في الجامعة الأردنية، وكانت كزملائها ممن تلقوا تدريبًا متقدمًا في دراسة التاريخ العربي الإسلامي، على يد نخبة من الأساتذة في الجامعة، من أمثال المرحومين عبد الكريم غرايبة، وعبد العزيز الدوري، وعلى يد الزملاء الذين كانوا يأتون من جامعة دمشق لمدة يومين في الأسبوع، من أمثال المرحومين نور الدين حاطوم، ونبيه عاقل، ومحمد خير فارس، وأحمد بدر، وعبد الكريم رافق، أطال الله بقاءه. وكتبت رسالتها للماجستير تحت إشراف أستاذنا المرحوم عبد العزيز الدوري، وكان قسم التاريخ قد شرع في فتح المجال للطلبة من داخل الأردن وخارجه للدراسة، والحصول على درجة الدكتوراة في التاريخ العربي ـ الإسلامي، والعربي الحديث.

انصرفتُ منذ التحاقي بقسم التاريخ في الجامعة الأردنية العام ١٩٧٢م، إلى جمع صور الوثائق والمخطوطات من الوزارات والمكتبات العربية والإسلامية، ومكتبات العالم التي

* رئيس لجنة تاريخ بلاد الشام.

تقتني مثل هذه المصادر. من هنا كان التوجه نحو أرشيف الدولة العثمانية في إستانبول، حيث سُـمح لنا بالتصوير، بفضل تدخل صاحب الجلالة الهاشمية المغفور له الملك الحسين بن طلال، رحمه الله. وكنا الجامعة الوحيدة التي سمح لها بذلك، ومن حسن الحظ نجحنا في تصوير دفاتر الطابو، ودفاتر المهمة والمالية المدورة من المكتبات التركية في إسطنبول وأنقرة.

وركزنا على مقتنيات المحاكم الشرعية والكنسية في بلاد الشام، فصورنا ما لديها من ذخائر، وفتحناها للباحثين، فكان الإقبال عليها كبيرًا، وتلا ذلك سجلات الأراضي في الأردن وفلسطين، بالإضافة إلى دفاتر النفوس، أضف إلى ذلك تصوير الوثائق المحلية والمذكرات الشخصية. وجاء التوفير المتزايد لهذه المصادر الأولية ليرسم خريطة طريق جديدة لمنهج البحث التاريخي في الجامعة الأردنية وبقية جامعات بلاد الشام.

في ضوء هذه الذخائر، فاتحت الآنسة هند أبو الشعر في ما إذا كانت ترغب بمتابعة رسالتها للدكتوراة في تاريخ العرب الحديث، وبعد نقاش طويل معها وهي في بعض الأحيان عنيدة، وافقت على أن تكتب رسالتها للدكتوراة عن: «إربد وجوارها: ناحية بني عبيد ١٨٥٠-١٩٢٨م»، فصرفت كل طاقتها البحثية في قراءة سجلات المحكمة الشرعية، وسجلات الأراضي، والمذكرات الشخصية، وتقارير الرحالة، زيادة على ذلك؛ تابعت الصحف الصادرة آنذاك في بلاد الشام مثل البشير وغيرها، والتفتت إلى دراسة واسعة لملفات مديرية الأراضي في عمان، فكانت سبّـاقة في ذلك المضمار، ساعدها في ذلك معرفتها باللغة الإنجليزية وسلاسة لغتها فهي أديبة وكاتبة، وأجيزت رسالتها وتولى بنك الأعمال / البنك الأهلي العام ١٩٩٥م، بإدارة معالي الدكتور رجائي المعشر، طباعتها ونشرها، فجزاه الله خيرًا.

وتزامنًا مع بحثها، قام عدد من زملائها بكتابة تاريخ بقية نواحي الأردن إلى ما بعد قيام الدولة، فأعلوا مداميك البحث التاريخي بإطلالة جديدة.

عندما باشرت في منتصف العام ١٩٩٣م، تأسيس جامعة آل البيت بجوار مدينة المفرق، كانت الدكتورة هند من المؤسسين الأوائل، إلى جانب نخبة من المؤرخين العرب والمسلمين، فكانت تنظم الحلقات البحثية وتدير المؤتمرات العلمية في القسم، وتقف على تحرير محاضرها ونشرها، وأوكلت إليها إصدار مجلة البيان وهي مجلة فصلية ثقافية حضارية تصدر عن جامعة آل البيت، وعلى ضفاف صفحاتها وتحت ظلال أشجار الأردن المعمرة نستنشق عبير الشيح والقيصوم، ونهجت طريقًا مستقلًّا، حيث مزجت الصورة مع المكان.

وتزاملنا في لجان مؤتمرات بلاد الشام، وهيئة تحرير المجلة الأردنية للتاريخ والآثار الصادرة عن الجامعة الأردنية لمدة تزيد على عقدين من الزمان، وفي لجان كتابة تاريخ الأردن، وأخيرًا وليس آخرًا، نشر الوثائق الهاشمية الذي نهضنا به، بتكليف من صاحب الجلالة الملك الحسين بن طلال، رحمه الله، منذ منتصف التسعينات. وتوقف العمل عددًا من السنوات وعاد وانطلق الجهد المبذول من جديد سنة ٢٠١٤م، برغبة من صاحب الجلالة الهاشمية الملك عبد الله الثاني، حفظه الله، وما زال قائمًا، حيث ننشر وثائق الدولة الأردنية منذ قيامها الأول؛ فوفرنا بذلك المادة الأولية للباحثين، بكل موضوعية ودراية ودقة.

درست هند معي، وأعطيتها كل ما لدي من علم ومعرفة، وما زلت تلميذًا للتاريخ أتعلم على يديها أدام الله قلمها وذوقها، وحفظ الله جميع زملائها.

﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾.